رواية

عِتاب عَوض

كراميل مر

كراميل مُر
(بتول)

الكاتبة : عتاب عوض
غلاف : مروة صلاح
تدقيق لغوي :إيمان فوزي طه
إخراج فني : أحمد عوض الله فخري
مدير التوزيع : عبد الله عبد العزيز
رقم الايداع:2018/21166
الترقيم الدولي : 978_977_6674_07_3

العنوان : المنوفية
جنزور - بركة السبع

حواديت للنشر والتوزيع : FACEBOOK
haawadet@gmail.com

مدير النشر : محمود عمر
01091569716

جميع الحقوق محفوظة للناشر
ولا يجوز بأي صورة نشر، أو اقتباس، أو إعادة طبع، أى جزء من الكتاب ، أو اختزان مادته بطريقة الإسترجاع، أو نقله على أى نحو كان، أو بأي طريقة سواء إلكترونية، أو بالتصوير، أو التسجيل أو خلاف ذلك إلا بموافقة كتابية من الناشر .

شكر

من المعتاد تقديم الشكر الي كل من ساعدنا لاتمام العمل أو من شجعنا علي هذا وهذا شي غايه في الامتنان .

لكن الحقيقي من يستحقون الشكر هم من قالوا اننا لا نستحق الوصول ليس لانهم دفعونا لإثبات عكس هذا قط فمن ينكر الجهود لا يستحق أن يري اذدهار زرعها

ولكن لأننا رأينا أنفسنا في حديثكم أشخاص جاذبين للنقد والإنكار ،كيف لكم حقا أن توصلوا الينا اننا اثارناكم حتي نشعل وجدانكم للبوح بالاستنكار

حقا لكم جزيل الشكر

المقدمه

اكتب اليك في الصفحات القادمه بعض المواقف والسطور منها تحدث في حياتك أو في حياه آخرون امامك ،منهم من تعلم كيف يخطو علي الصعاب حتي تصبح حطاما امامهم فيفترش فوقها الورود بايديهم ولا يعلم ما تحتها سواهم وآخرون يديرون جانب الكأس المكسور .

×

تعلمنا وعلمنا وسيعلم غيرنا كيف نتفادي الصعاب وهي في الحقيقه شئ لا يمكن تفاديه مادمنا نتعامل والافضل هو تعليم كيف لنا أن نتعامل معها ونأخذ منها ما يقوي شوكتنا

××

(١)

اللجوء للخفاء

في العاشرة صباحا فتحت عيناها علي الضوء الشارد المتسلل من الفجوات التي صنعت بواسطه التآكل في النافذة الخشبية، علي مدار الخمسة اشهر السابقين لا أنيس دون ذلك الضوء الخافت، لم تهتدي عنبر للنظر في الساعة لمعرفة أنهار أم ليل، يُفرق بينهم هو من لديه مهام وحوافز ينتظر من أجلها مرور الأيام فمن لا يشعر بفارق ليلٍ أو نهار يعرف أنه قد انتابه الاكتئاب منذ زمن، وضعت قدماها علي الأرض المتعرجة التي مهما كسوها السجاد فهي لا تبقي أبدا مثل أرضيه منزل (رحمة) جارتها التي تشعر عند السير عليها أن السجاد سيأخذها وينزلق من نعومته، لا يهمها قدماها التي تنعرج عند السير عليه أو تغوص في الأرض الرمالية في بهو المنزل الخارجي، يكفيها تلك القدمين الصغيرتين اللتان تشعر بهما يتجولان في بطنها، جلست تتحسس التطور البسيط الذي كلما زاد كلما اشتدت أجراس اللهفة لديها.

تركت غرفتها بعد ما فتحت النافذة لتطلق العنان للخيوط الذهبية للشمس، فوجدت امرأه جديدة علي رؤيتها ذات وجه مألوف الي حد ما، موضوع بجوارها شنطة جلدية سوداء يتدلي منها بعض الاقمشة الحريرية ربما آتيه من أجلها حيث رحبت بقدومها من غرفتها، لتخبرها أنها تنتظرها

ـــ هي دي العروسة ماشاء الله اي القمر ده، وزادت في تقبيلها

فأجابت (سامحة)؛ عروسة ايه بس مش شايفة بطنها دي بقت متر قدامها .

ـ الواحدة تفضل عروسة كده لحد ما الواد يجيله كده عشر سنين مش واد بردة إن شاء الله.

ـ إن شاء الله ـ قالتها عنبر وهي تزفر.

ظلت تقلب في الاقمشة وتضع ما تشاء علي جسدها وتعجب (سامحة) لون وتبدي عدم اعجابها بآخر وأحضرت (سامحة) الضيافة للبائعة كعادتها لأي شخص يدخل بيتها حتي لو جاء ليصلح شيء بسيط بالمنزل.

ـ يلا بقي يا عروسة نفعينا ده أنا جتلك أول واحدة عشان عيون الست (سامحة).

ـ هو أنت هتروحي لسه لحد؟

ـ طبعا الحاجة (أم يسري) كام قميص كده للعروسة الجديدة لسي يسري.

ـ هو هيتحوز تاني ـ قالتها سامحة وهي تعوج فمها!

ـ قولي تالت ربنا يفرحهم ويرزقنا يلا بقي تختاري ايه يا حلوة.

ذهبت البائعة للتجول بين البيوت لتأخذ ضيافتها عشرات المرات بعد أن تقص القصص عن جيران الحي والأحياء المجاورة وتلعن الكثير من المجاورين. وسوف تنقل عنهم كما نقلت لهم بالطبع وبعد أن أوصتها سامحة بتوصيل السلام لبعض من الذين تعرفهم...

وجهت سامحة الحديث لعنبر حيث طلبت منها بلهجة خشنة بأن تختار القماش الأرخص فيما بعد ولا توافق علي أي نوع إلا بعد أخذ نظرة الموافقه منها أولا ولا علي أي لون لأنها تعرف أي الألوان يحبها ابنها وأي الألوان لا يتقبلها. فلا يخرج قرش واحد في هذا البيت إلا بعد موافقة سامحة فالكل يأخذ مصروفه منها اذا كان عامل أما إذا كان من أهل المنزل فحاجة البيت أولي بكل مليم. فعنبر ليست أكثر من سجينة تفعل ما يريدونه هم فقط: من استقبال الضيوف والنوم. حتى الأكل تصنعه سامحة أيضا أوبنت من أقاربها التي تأتي لتساعدها من حين لآخر. تتقبل الوضع عنبر أم لا فهذا لا يهم سامحة طالما لا يضايق رئيس مجلس ادارة المنزل.

(٢)

هل عمرك تخيلت انك صغير الي حد العالم يراك مثل الميكروب ويعتقد انك لا تفهم ولا تشعر؟ ربما. لكن مهما تخيلت فلم يكن مثل شعور تاليا (تاليا)

بين تطاير الستائر البيضاء من شدة الهواء وتحت السماء الغاضبة التي ترسم بسحابها لوحة ثائرة يوجد وجه صغير يظهر من بين الستائر يحاول أن يتسائل من صاحب تلك الفوضي التي تجري هنا وهناك. وفي ظل التأمل من أعلي علي الشارع الخالي ظهر رجل كبير السن يتبين من خطواته الثقيلة الثابتة قادم من بعيد لم يظهر وجهه بوضوح لكن ظهرت عصاه التي يهوي بها علي الأرض. فسرعان ما خطفت وجهها الصغير الدائري من بين الستائر التي كانت تحيط بها وجهها لتحدده وتتراقص الستائر حوله.انزلقت في السرير الذي كانت تقف عليه بركبتيها وظلت تحدث نفسها أنا نائمة... أنا نائمة حتي تقنع نفسها أنها حقا نائمة. وأخذت الغطاء الخفيف ووضعته علي وجهها حتي أصبح مجسم علي وجهها وملامحها الدقيقة الجذابة. لم يمر خمسة دقائق حتي وجدت من يرفع الغطاء عنها. فصرخت صرخة صغيره تصحبها(أنا نائمة) سرعان ما وجدت أنه الوجه المألوف التي اعتادت عليه فهدئت.

ـــ في اي يا تاليا أنا الي اتفزعت!

ـــ أغمضت عيناها في ثبات وكأنها لم تسمع شي.

ـــ تركتها وأغلقت الباب. أرادت أن تزيل الغطاء عن وجهها وتجعل قدماها تتحسس الأرض. لكن قبل أن تصل قدماها للأرض وصل صوت قوي متحشرج الي آذانها الصغيرة. لتندمج صورة السماء الثائرة وتلاطم الستائر مع تلك الحشرجة فيصنعوا ذلك المشهد المرعب .

صوت الرجل العالي الذي اخترق آذانها. تلك الكلمات التي لا يفهمها

عقلها لكن يذعر منها قلبها، كان من المفروض أن تثبت أقدامها ولا تذهب لمصدر الصوت؛ لكن قدماها قادتها وفتحت الباب رويدا رويدا، فلم ترى سوي القدمين الكبار والحذاء الاسود اللامع والعصا التي كان يهوي بها منذ قليل، ظل يلوح بيده ويهوي بها ويتلقلق الصوت في حنجرته من أثر صوت الهواء وكأن أذناها أضحت صماء من ضغط صوته الثقيل، هو ليس عالي بذلك الحد، لكنه غليظ ثقيل علي الأذن، كان الباب من خلفه مفتوح يتسرب منه الهواء البارد لأطرافها التي تجمدت خلف الباب، فاهتزت من رعشتها فاهتز الباب معها، لتجعل عيناه تلتف إليها، فأشار بعصاه...

ـــ وايه دي كمان ـــ بتلك النظرة والسخرية والاشمئزاز لها، تحول في نظرها الي ساحر شرير، فسرعان ما توارت خلف الباب واختفت.

ـــ هي فين دي؟ انطلقت الكلمة من فم السيدة!

ـــ كانت واقفة بتتصنت علينا من ورا الباب.

ـــ الطفله دي بتتصنت، ده أنت رعبتها، تاليا تاااليا انتي فين تعالي.

وذهبت للغرفه حتي تأتي بها، فنظرت هنا وهناك ولم تجدها..

ـــ تاااليا، حرام عليك، خرجت لتبحث عنها في الخارج.

ـــ هي مخرجتش أصلا.

ـــ انا مش عارفة أنت بتكرها كده ليه!

ذهب بوجهه العابس دون أن يرد عليها كأنها تبحث عن سراب.

ـــ أنا هنا متخافيش معرفش يموتني.

تلك النظرة البريئة لم تجد لها رد فلا تريد أن تطمئنها لذلك الراجل حتي لا تنصاع لأوامره فيحل الخطر بها، ولا تريد أن تخيفها منه فتكرهه وتظهر ذلك أمامه ويؤذيها بالفعل، لم تجد شئ سوي أن تهدئها بالامساك بيدها وضمها قليلا وأرادت أن تجلس بها، لكن فاجئتها بالقول

ـــ بلاش نقعد هنا

ـــ اش معني؟

ـــ بلاش هنا في شر (تقصد في المكان الذي كان يقف بجواره ذلك الرجل)

ـــ خلاص هنا حلو. أعطتها قطع من الشكولاته الموضوعة أمام التلفاز وجلستا تشاهدان الكرتون لتهدأ من خوفها هي قبل خوف الطفلة فالاجواء مشحونة.

(٣)

سلب الطاقه

قدماها تضرب الأرض، خطواتها تسابق خيالها الممتد، يلاطم الهواء وجنتيها يحاول ايقاف زخات المطر المتلاحقة عن عيناها، طريق مسافته تقارب من النصف ساعة، أخذته في بضع دقائق، لم تشعر بأي بشئ سوي انزلاق حدث لقدميها فارتطمت بحجارة وانزوت جانبا علي الأرض الرمالية، لم تبالي بجرح يدها جراء ذلك الاصطدام كأنه يعطينا مؤشر عن جرح أعمق بداخلها، ألقت نظرة فلم تجد غير وجه عابس يظهر علي مقدمته عرق نافر ماهو سوي انعكاس وجهها في ماء البحيرة الراكد، هدوء المكان وخلوه من البشر أتاح لها البكاء بصوت عالي صوت أوشك علي شق حنجرتها الصغيرة، وضعت يداها جانبا علي الرمال المبتلة أبعدتهم قدر المستطاع عن جسدها، كفها منفرج كل اصبع لا يلامس الآخر، كيف في كل مرة تحاول أن تفرح يأتي طيرا مختلف غريب ليخطف فرحتها ولم يكتفي بهذا بل يسرق معها أعز الأشخاص الي قلبها ويقلب حياتها، كل فرحة تتحول الى نكسة وابتدأ صوتها يعلو ليعلو معه تلك التنهيدات المتلاحقة، شعرت بكف مبتل يلامس احدي يديها المرتمية جانبا، فسحبتها سريعا وأدارت وجهها لصاحب تلك اليد وعندما رأته همت في الوقوف ودرات بجسدها لتنظر هنا وهناك، لتجد مأوى بعيدا عن تلك العينان اللائمة، فلم تجد سوي وقوفها ثابته وتشيح بوجهها للاتجاه الآخر.

ـــ طب أنا ذنبي ايه يا نونا ؟

ظلت الاخيرة مكتوفة الأيدي...

فأكملت الأولي حديثها

ـــ أنا مفتحتش بوقي ولا اتكلمت نص كلمة وماكنتش هطلع والله لولا ماما جت طلبت مني أدخلهم الضيافة. لحد انتي ماتطلعي ساعتها مجاش في بالي حاجة وطلعت. مكنتش اعرف ان كل دد هيحصل!!

ـــ قاطعتها الأخري ـــ هو أنا لومتك. هو أنا قلتلك حاجة هو أنا قلتلك ليه أعجب بيكي من أول ما شافك. ليه بابا مقطعش الموقف وقالهم إن مش أنتي العروسة. ليه قال في نفسه يلا اهي واحدة يخلص منها أحسن من مفيش. ليه كل حاجة حلوة بتختارك انتي قبل ما حتي تفكري فيها. وأنا باخد المتبقي في كل حاجة ومحدش اختاره. (شدوي) ممكن تروحي وتسبيني أنا هنا شوية. روحي عشان تلحقي تشتري فستان جديد وتروحي لسمر تظبطي نفسك مينفعش يكون قراية فتحتك النهارده وتروحي عزومه طنط عنايات كده.

ـــ كانت تتلقي تلك الكلمات بسكوت تام تنظر لعين أختها اللامعة وبالحسرة التي تتحدث بها والثبات الانفعالي التي تعلم أنه سيتبعه رياح عاصفة فلا يوجد من تتحمل كسر فرحتها بهذه الطريقة.

ـــ أنا مش هروح يا نونا عزومه بكره. العزومة دي مفروض كانت بتاعتك أنتي وأنا ضيفة فيها. سكتت قليلا ونظرت الي الأرض ـــ أنا هروح أقول لماما اني مش عاوزة العريس ده. مش ده اللي هيفرق ما بينا. مش أول ولا آخر راجل في الأرض يا نونا. يعني مادام مش نصيبك يبقي مش نصيبي أنا كمان. هقول لبابا كده وأكيد هو هيوافق علي رأيي.

ـــ شدوي بابا عاوز يخلص. بابا عارف كل ده من غير ماتقولي حرف واحد ومتكلمش. ماتكسريش رأسه مش هيفرح لو حد قال بنته اتقرت فتحتها النهاردة وفسخت بكره. وأنا مش زعلانة بالعكس خالص علي قولك مش نصيبي.

ـــ هتبقي معايا بكره صح ؟

تركتها شدوي وهي مكسورة، وجهها أصبح قاسي في تلك الساعات القليلة الشعور بالفرحة وكل تلك الترتيبات التي قامت بها منذ أمس عندما همست لها أمها وهي تقول (مدام عنايات) جاية بكره ومعاها ابنها احسان مع تلك الغمزة المفهومة، وجلست علي طرف السرير وفتحت الدولاب المتلاصق له وأخذت تخرج الفساتين الوردية القصيرة وأمتار القماش السماوي وتوضعها علي صدرها لتري كم تبدو جميلة وملائمة لها مع شعرها القصير الأسود اللامع الذي تزينه الفراشة البيضاء من الجانب ووجهها الخالي من المساحيق.

أخرجها من تفكيرها تلك المصابيح التي بدأت في الاضاءة علامه علي قدوم الغروب، فهمت لتستقل أي وسيلة مواصلات لتنقلها إلى حيث أتت .

× × × × ×

(٤)

التزييف

تناولت أحمر الشفاه الداكن، نظرت في المرآه ورسمت شفاهها رفعت شعرها الأسود اللامع المزين بخصلات بنفسجية اللون في شنيوه خفيف وتركت خصلات تنسدل برقة علي وجنتيها، ابتعدت عن المرآه قليلا ونظرت علي جسدها الرشيق وألقت قبلة لنفسها في المرآة، فتحت درج مكتبها لتلتقط أول كتابين وقعت عليهم عيناها وضعتهم في حقيبة الظهر الأنيقة ووثبت بخفة لتنطلق من غرفتها لذلك الممر الطويل متوسط الاتساع خافت الاضاءة يكسوه سجاد كما الذي يظهر في المؤتمرات والمناسبات الرسمية ذهبت علي أطراف أصابعها لاخره لتفتح باب وتطل برأسها، كل شئ علي مايرام أغلقت الباب خلفها لتكمل وثبها السريع علي

درجات السلم المحتضن البيت من الداخل فهبطت علي ذلك الفرو الذي يتقدم مدخل المنزل. التقطت حذائها البني الطويل فهو يتناسب مع ذلك البلوفر كراميل اللون. لم تنس القاء نظرة أخري في المرآة ثم خرجت من المنزل لتصعد فوق الاسكوتر المواجه للباب وأدارت المحرك. ثم رفعت يدها تحية للحارس وانطلقت

(١)

كلوحة زيتية يطغي عليها اللون الرمادي والأصفر الداكن في جو عاصف رملي يعود بنا الي البادية، نجد مجموعه من الرجال في صفوف علي الجانبين من الطريق يجلسون القرفصاء، الساكن منهم والذي يلوح بيديه وآخرون يصيحون بصوت عالي لجذب الجموع لبضائعهم، أمام رجل ممن يجلسون االقرفصاء يتميز بطول لحيته تقف أمامه امرأه برداء طويل يصل الي أصابع قدميها وعلي رأسها حجاب ببروز وجهها باللون الزهري بينما يغطي صدرها وشاح أسود طويل.

يخيم السكون علي منظر هذه المرأة والبائع، فتجدها تتحدث بأيديها وشفتيها ترسم مخارج الحروف دون صوت لتشير الي بعض الخضروات الموضوعة في عمامة الرجل الملقاة علي الأرض .

(رحمه)

(٢)

روما أنا آسفه يا روما نسيتك طول النهار انبارح وفضلتي قاعدة لوحدك مبتلعبيش مع حد صح ؟ أنا كمان كنت قاعدة في اوضتي طول النهار انبارح كنت خايفه قوي، الراجل الشرير ده جه تاني، معرفش مبيحبنيش ليه؛ أنا مبعملوش حاجة وحشة، حاسة في يوم أنه هيديني بالعصاية الغريبة دي علي دماغي.

كانت تاليا تحدث كلبتها الصغيرة روما، فهي لا تتحدث طول النهار سوي لروما أو عروستها ميني لكن الحديث يختلف لكلا منهما، فمع روما تحكي لها فقط عما دار طول النهار بينها وبين أي شخص ممن صادفوها لكن مع ميني تتخيل أنها هي التي تحدثها وتهدئ من خوفها ربما تحتاج لأحد

تشكو له ويحنو عليها.

ـــ تاااليا، تاااليا روحتي فين .

ـــ أنا هنا يا ميني.

ـــ سندوتشاتك اهي وبعدين ايه ميني دي اسمي ماما.

ـــ تؤ، ميني.

ـــ بصوت منخفض تحدث نفسها، ميني ميني الحمد لله انك بقيتي تتكلمي.

ـــ أنا عاوزة أروح لوحدي.

ـــ لوحدك فين لسه بدري قوي مش أقل من سنه خامسة.

ـــ أخد روما معايا.

ـــ وروما هترجع لوحدها! يالاا عشان هنتأخر ومش هيدخلوكي

جذبتهاا من يدها وهي لا تستطيع ملاحقة قدماها نظرا لقصر قامتها، نظرت لرجل يحمل ابنه علي كتفه ربما ذاهبين المدرسه مثلها ـــ شيلنيي ـــ

ـــ اشيلك ايه انتي كبيرة.

ـــ هو أنا كبيره ولا صغيرة ولا ايه بالظبط !

وصلا لباب المدرسه فسلمت عليها وأخذت الشنطة التي كانت تحملها عنها.

وضعت شنطتها في الصف الأول من الطابور ووقفت جانبها لحجز الصف فأتوا اثنين من الطلاب ووقفوا أمامها فتراجعت، فجائت أخري فضغطت علي قدمها بحذائها لتقف أمامها وهكذا من المواقف الي أن أصبحت في آخر صف.

(٣)

كانت تقف منهكة في المطبخ من أثر البخار المتصاعد علي وجهها محتارة ما بين الانتهاء من طبخ اليوم و تحضير بعض البسكويت والكعك للزيارة

المسائية، بينما تتجول (شدوي) في غرفتها المشمسة تفكر في الزيارة والمرحلة الجديدة التي ستقبل عليها بعد تلك الزياره، فتحت جميع أركان دولابها المشترك مع أختها فوجدت فستان سماوي سادة ربما اشترته (نونا) من فترة ليست بعيدة فشكله جديد، جربت قياس ذلك الفستان فمقاسهم متقارب،

__ نونا حلو الفستان ده اشترتيه امتي ؟

__ من شهر كده،عاجبك؟

__ مممم هو حلو ومناسب لبعد الظهر.

__ خلاص خديه (نونا لم تحرج أحد حتي لو آتي كل هذا علي غضبها هي، لم تعرف شدوي أنها جهزت ذلك الفستان بالأمس للزيارة هو نفس الفستان الذي جهزته عندما علمت بزياره السيدة عنايات جارتهم)

__ صباح الخير يا نونا، اده انتي لسه مخلصتيش (قالتها والدتها بالعربية المتهدجه قليلا)

__ ساعة بالظبط وهكون خلصت،

(كل ما في المنزل ينظرون لنونا كونها سيدة المنزل، سيدة المطبخ من تقوم بأعمال المنزل كسيدة وأم كبيرة لكن شدوي التي تصغرها بعامين فقط ينظرون لها أنه مازالت صغيرة هي من يجب عليها التدليل، ظل الوضع هكذا منذ الصغر حتي صدقت نونا هذا وأصبحت الأم حقا المنهمكة دوما في أعمال المنزل.

جلسات الخميس أربعة أيام في الشهر وياحبذا إذا صادف ألا يكونوا خمسة ايام فكل يوم منهم ينفرد بحديثه عن الأخر يوم يلتقيان لقراءة الفنجان وهذا اليوم يخص (سامحة) فيعقدون جلسة دائرية وتجلس سامحة بجوار صاحبة الفنجان تارة تخبرها الأخبار الشخصيه بصوت خافت الذي يحاول التقاطه البعض، وتارة تخبرها الأمور المضحكة بصوت مسموع فتضحك الباقيات وتنتظر كل واحدة دورها. حيث يستغرق الدور حوالي عشرة دقائق ومقابل الأخبار السارة تتلقي شامخه الهدايا والعزومات ولكن بالطبع كل هذا مجرد صدفه أو أخبار سمعتها من بائعة القماش عنهم. فتصطنع أنها قرأتها في فنجانهم وأنها مبروكة ولديها طالع. ليتها كانت تتعلم الرسم فتقوم برسم ما تراه من خرابيش داخل الفنجان افتعلها البن لتحول الوضع الي فن بدلا من شعوذة. تاره أخري ترمي بنواة التمر وتشرح لهم ما رأت من نتيجة القاؤه علي الأرض. حقا من لا يجد ما يشغله يشغل الناس به. ففي بادئ الأمر كانت تلعب تلك الألعاب مع عنبر حين كانت تعلم أن معها أموال وكانت تصدقها.

ليس كل المضحكين طيبين وياليت كل الزيارات محبة. فالطعم الأدمي هو ذلك الاستدراج بالضحك والمحبه.

لم تنكر سامحة عدم محبة عنبر منذ اللحظة الأولي لكن اصطنعت أنها تقبلتها للعيش معها وأحبتها. وكانت عنبر تشتهي تلك المحبة فصدقت ذلك البيت الأجوف المشاعر. تأخذ سامحة منها ما تأخذ من كلمات كلام سري بينها وبين زوجها. لتوصله لزوجها مرة أخرى في عبارات توضيح بعدم صون الأمانة من عنبر وافشاء الأسرار. أيضا لم تكن عنبر تلك السيدة الناضجة وعلي دراية بما يجب أن يقال وبما يجب إخفاءه. حتي عن أم زوجها بما يخص علاقتهم. كانت سامحة تلك السيده ذات الهيئة لكل من مرت أمامه بسماكة صوتها ومشيتها الثقيلة. كأن قدماها تجر كرتين

من الحديد، أو ربما كانت صاحبة سجن لا شخاص محكوم عليهم بانتهاء خصوصياتهم عنها فكل من تعرفه ينزلق الكلام من فمه خوفا منها حتي جيرانها لم يخفي أحد شيئا عنها، لم تنس عنبر ذلك اليوم الذي عاد(فارس) من عمله وهو إعادة تدوير قطع الحديد الخردة وظل يقلب في بعض الأوراق ووساند الغرفة الي أن أمسك بزراع من الازرع الخشبية الثقيلة وكاد أن ينزل به علي رأسها بحجة اختفاء بعض الاوراق المهمة، مع أنه لم يضع لها أوراق مهمة ولا يستأمنها عليها أبدا ولا تتذكر أن تحدث مرة معها عن أمور عمله فمعظم الزوجات في البلدان النائية عن العاصمة لا يعلمون زوجاتهم أمور العمل الدقيقة حيث أن ذلك في نظرهم لا شأن للسيدات به، ولم تهدأ في تلك اللحظة إلا أن وجدته نظر إلي بطنها المتكورة وألقي بالذراع الخشبي علي الأرض لينشق نصفين، حمدت ربها بعد أن تجمدت أنفاسها ماذا كان يحدث لو لم يتردد ثانية، لكان انشق علي رأسها، منذ تلك الليلة عندما تراه بتلك الهيئة الشيرانية تسرع لتقف علي سجادة الصلاة حتي يهدأ أو تذهب للحمام وهناك احتمال ثالث اذا كان الوقت ليس متأخر وهو الذهاب ل (رحمة) فعالمها أيضا متوتر.

× × × ×

(٢)

وقفت تبكي وهي تعطي ظهرها للمرحاض داخل حمام المدرسة تبكي كالتي مر علي عمرها السنين لم تقطع البكاء إلي أن سمعت صوت جرس الخروج، فتحت وجرت لتتكعبل بين أرجل الأولاد الذين يهجمون علي الباب وقت الخروج، وصلت أخيرا لفصلها بعد ماأتربت ملابسها واتسخت لتجد كل ما بداخل شنطتها ملقي علي الأرض في كل اتجاه وكان أولاد فصلها يقذفون بعضهم البعض بادواتها، تذكرت قول أمها (متتأخريش جوه ليقفلوا باب المدرسة عليكي وينسوكي) فلا يوجد وقت لتبكي علي ما كُسر في الأرض للمت المتبقي ولحقت بالهاجمين نحو الباب.

في ذلك العمر لا يفصل الطفل الحديث عما تعرض له من مهانه حتي لأقرب الناس إليه. من المفترض ملاحظة تعبيرات وجهه فور الخروج من المدرسة. المعدلات الدراسية ليست المثالية. فيوجد علماء ونابغين معقدين نفسيا من بعض الأصوات أو الكلمات ربما لكل صوت ذكري معينة تزعجه. لماذا نترك الأولاد في ذلك السن يحملون علي عاتقهم كل هذا التعب والتفكير في التخلص من الضغط النفسي. بعض أولياء الامور يعتقدون بأن مجيئهم لفصول أولادهم لمواجهة الطفل الذي أغضب ابنهم سيعطي له مهابة بين الأطفال لكن الوضع يتحول للاسوء فهذا اعتراف منك بأن ابنك غير قادر علي مواجهة أطفال في نفس عمره. لكن كل ما عليك تحضيره نفسيا في المنزل جيدا.

×××××

(٣)

ـــ يلا يا نونا شدوي كده هتتأخر علي المدرسة.

ـــ ماما ماتروح لوحدها أنا كنت أصغر منها وبروح لوحدي عادي يعني .

ـــ اختك الناس بتغلس عليها وبتتعاكس وهي رايحة وهي جاية لو ماودتهاش أبوكي هيقعدها من المدرسة هو ساكت عشان أنتي اللي بتوديها.

ـــ طب مش خايفة ألا انا كمان اتعاكس ساعتها حتجيبوا حد يوصلنا احنا الاتنين -قالتها وهي تضع يدها في وسطها وتميل راسها وتضحك-

ـــ يا حبيبتي لأ. انتي جدعة كده والناس بيخافوا يكلموكي نص كلمة مش يعاكسوكي.

ـــ صح عندك حق ـــ بعد تلك الجملة لم تود نونا اظهار أن واقع الجملة عليها لم يسعدها. بعض الناس يعتقدون قولهم للبنت (انتي زي الراجل) (بنتي جدعة) كلمات تجعلها سعيدة أو عندما يعطوها مسؤلية حماية بنت أخري من أفراد الأسره تشعر أنها المفضلة. بالعكس هي تشعر ولو كأنها (الناضورجي) كما يلقبونه قديما فكان خشن الصوت ذو جسم قوي. بعض الآباء كانوا يعطوه الأموال حتي يسير خلف بناتهم عند ذهابهم للمدرسة

أو زياره الصديقات حتي لا يتعرضون للمعاكسات.

كانت تحب السير مع أختها صباحا وهم يأكلون التسالي ويتحدثون عن بنات الحي أو زملاء المدرسة وبنات الأقارب كانت تود لو تستبدل أمها كلمه (خدي بالك من أختك) إلي (خلوا بالكم مع بعض)

كانت تتذكر كلمات وحوار كل صباح فيوم العطلة اجازه لها، وبدء العمل لعقلها لمراجعه ما حدث وما قيل طيلة الأسبوع، ليس بيوم راحه أبدا .

انتهت نونا من الطبخ وصنع بعض المخبوزات للزيارة وتشطيب المطبخ أيضا وصنعت كوبا من اليانسون لتشربه وأدارت الراديو لتسمع (الاطرش) فمهما مر عليه الزمن سيظل رمز للهدوء والكلاسيكية ومبعث علي التفكير الهادي ء.

دخلت فراشها لترتاح قليلا قبل معاد الزياره، بزغت فكرة في رأسها، ما المهم الذي يجعلها تذهب لتلك الزيارة ما الذي يحدث إذا لم تذهب، سيقولون أنها تغار من أختها التي تصغرهان وإذا ذهبت وشعرت بالضيق وظهر هذا جليا علي وجهها، الحل الأمثل أن تمثل التعب وهم أيضا لن يصروا علي ذهابها معهم في ذلك الوقت.

__ نونا أنتي مش هتجهزي ولا ايه.

__ أصل أنا حاسة اني تعبانة شوية، روحوا وأنا هحصلكم.

__ ماشي بس متتأخريش طنط عنايات بتحب تتكلم معاكي أكتر واحدة وهتزعل لو مجتيش.

(ذهبت الأسره للزياره التي لا تبتعد عشرة دقائق من المنزل فالحي صغير وكل البيوت تقترب من بعضها البعض، استقبلتهم السيدة بحفاوة وسرعان ما سألت علي نونا التي تعتبرها بنتها الصغري، ويبدو علي عيناها أنها فهمت ما حدث في نفس نونا من يوم قرائة فاتحة أختها، بالرغم من فرحه السيدة بقبول ابنها لشدوي لكنها تعترف بأن لو حدث مثل ذلك الموقف وكان لديها ابنتين فلا تقبل به لأي منهما؛ لان ذلك سيصبح علي كرامة الأخري ويبعد بين الأختين لكنها تعلم أن (الحاج حامد) يود لو

يتخلص من البنتين معا فالحمل عليه أصبح ثقيل مع كل سنه يتقدمون فيها في الدراسة، فالجواز سينهي أعباء الدارسة من عليه وأعباء معيشتهم ومصروفاتهم .

__ ايه كل اللي جايباه معاكي ده يا ست (جينا) تعبتي نفسك قوي.

__ مفيش تعب ده شوية بسكويت وكيك عملتهم شدوي عشان عارفة انك بتحبيهم حبت توريكي عمايلها.

(نظرت شدوي لأمها باستغراب فلماذا تكذب وتقول انها هي التي صنعتهم)

(٤)

وضع حازم أكواب الشاي علي الأرض أمام كل جالس علي الأرض العشبية في حديقة الجامعة، تناول كل شخص كوبه الذي وضع ماعدا بتول التي جلست محملقة في الناحية المقابلة لها وكأنها لاتري أحد من المارين ولا تشعر بحرارة كوب الشاي الذي وضع أمامها.

__بتول بتول روحتي فين يا بنتي اشربي الشاي!

افاقت بتول من شرودها علي صوت شذي وهزة جسدها البسيطةالتي استخدمتها شذي عندما علمت أن لا مجال لصوتها لاختراق عالم بتول الافتراضي الأن.

__واخدة بالي يا شذي لسه سخن.

__هنروح النهارده نشتري تذاكر الحفلة __قالتها البنت التي تواجه بتول في حلقة جلوسهم.

__أجابتها شذي __هنروح علي خمسة كده نكون خلصنا المحاضرات ونروح بعدها علي طول عشان أنا مش قاااادرة.

__اهتز هاتف بتول الذي اعتاد علي كونه صامتا فأخرجها من شرودها مجددا، التقطته من أمامها لتجد رقما بدون اسما نظرت له قليلا تكاد

تعلم من صاحبه.

ـــ الو يا عم أحمد في حاجه؟! عقدت حاجبيها بعد رد المتصل عليها وظهر علي وجهها ملامح الغضب سندت بيد واحدة علي الأرض وكأنها تشرع في القيام.

ـــ طيب طيب حاول تتصرف لحد ما أجي هي مش اول مرة يعني.

ـــ في ايه يا بتول انتي ماشية.

ـــ اه معلش. هرجعلكوا علي الباب الساعة خمسه نروح مع بعض مشوارنا.

انصرفت بتول وتلاحقها عين شذي التي تعلم كم المواقف التي تنهال علي بتول من السماء فتفقدها لحظات انسجامها معهم.

(١)

ـــ قاسم يا قاسم أنت فين هتنزل بردة من غير ما تفطر وتزعلني...

قالتها وهي تحمل صينية بها أكواب الشاي وأطباق صغيرة مزخرفة بها وحدات البيتيفور لتضعها علي المنضدة، لتري ظرف صغير مطوي بحرص ومغلق بالشمع الأسود موضوع علي طرف تلك المنضدة، جذب انتباهها ذلك الظرف وضعت الصينية سريعا لتلتقطه لم تنتبه الي ذلك الكوب الذي اهتز فسقطت منه قطرات علي الظرف.

ـــ مش قولتلك ميت مرة تاخدي بالك ومتجيش جنب ورق الشغل خالص ـــ قالها وهو يسحب الظرف سريعا ليضعه في أحد أدراج المكتب.

ـــ ورق الشغل لما يتحط علي ترابيزه الأكل يبقي هو الل جه عندي مش أنا اللي جيت جنبه، وبعدين طالع من الحمام كده ليه مش خايف لتبرد ـــ قالتها وهي تنظر لتلك الفوطه المحاطة بخصره، وسرعان ما حركت تلك النظره لعيناه مع ابتسامة ماكرة ساحرة.

ـــ لا مش خايف هتديني بسرعة اهو ـــ قالها وهو يضحك ويربت علي ظهرها ليضمها إلى صدره، فألقت قُبلة علي صدره العاري وتحررت من أسر ذراعيه .

أفاقت (رحمة) من شرود عقلها عندما انسكبت القهوة الساخنة علي يدها الرقيقه التي وضعتها علي النار قبل شرودها، سحبت يدها سريعا ووضعتها تحت الماء الجاري لتهدأ من حرارتها وعلمت أن عقلها نقلها الي ما لا تري

(٢)

أخدتها أمها المنتظرة خارج المدرسه كما تفعل يوميا تدخل الي داخل المدرسه مع المنتظرين ثم يطلب منهم العامل أن ينتظروا بالخارج مرة بعد مرة حتي يتقهقروا للخلف. أخدتها وهي لا تلاحظ عليها الارهاق وآثار البكاء ربما لم تنظر لها. سحبتها كالمعتاد لتخرج سريعا من حشد الناس والضوضاء التي تصدر من صوت الأطفال الذين يتشاكسون أو أصوات الأمهات التي تنهر اولادها بعد شكوي مدرسينهم بالاندماج مع صوت السيارات فإذا اغمضت عيناك لتختفي الصورد ويبقي الصوت سيغمي عليك الحال من هول الغوغاء.

دخلت (تاليا) المنزل خلعت حذائها بجانب الباب كما تعلمت وسحبت شنطتها خلفها علي الأرض وهي عابسة تشعر أنها ضعيفة ولا تقدر علي المواجهة توقفها كلمه (عيب) كثيرا في داخل عقلها وتفكيرها فلا تحب أن ترد أو تغلط باي لفظ في زملائها حتي عندما تجد شئ ناقص من ادواتها تخجل من لفظ (سرقني) واستبدالها بلفظ(أخذها بدون اذن) ربما الوسط الاجتماعي الذي تربيت فيه عكس الذي تفاجئت به. وعليها أن تقاوم ولا تستسلم للخضوع. جلست علي سريرها وهي تضع جبينها علي الحائط لتتساقط قطرات الدموع علي(ميني) العروسة. كانت تتحدث مع ميني بصوت خافت ربما لا تسمعه هي نفسها. كانت تحدثها بأنها ميني الحقيقة التي تسمعها وتفكر معها بدون إطلاق الأوامر لها. فقط كانت تحدثها وتتمني أن تصبح ميني الكبيرة مثلها. طلبت منها أن تدعي معها أن تصبح ميني الكبيرة مثلها ولو ليوم واحد وتعود كما هي من جديد بس تريد أن تعرف ما الكلمات التي ستصدر منها لو اصبحت حنونة حقيقي (تاليا) لا تعتبر التهدئة عندما تخاف أو قصة قبل النوم حب. هي تريد ذلك الحب الذي يظهر بين معلمتها وابنتها التي تدافع عنها دوما حتي لو اخطأت وتأخذ حقها.

(٣)

ـــ كده متقولوش أن شدوي فتحتها اتقرت والله زعلت.

ـــ جت بسرعه قوي . بس احنا لسه فيها اختاري كل حاجة بقي و القماش مع بنتك شدوي براحتك.

ـــ اول ما سمعت أن عندك بنت عروسة افتكرتها نونا والله اتفاجئت لما ركبت بالصدفة في اتوبيس حامد وعرفت منه انها شدوي.

ـــ نصيب بقي كله خير.

دخلت نونا غرفة الاستقبال بعد ما كانت تنشر الملابس سلمت علي الضيفة التي شعرت بيديها قد ابتلت من أثر يدين نونا ثم دخلت شدوي بدخلتها السريعه وكلمات المدح والترحاب بطريقتها التي يطلق الضيوف عليها (بتبلف) جلست الفتاتين علي أحرف المقاعد بينما شعرت شدوي ببعض الحرج عندما تحدثوا عن ترتيبات الخطبة. وشعرت نونا بالغضب عندما طلبت منها الضيفة أن تحضر لها طبق كانت تحتاجه لتضع فيه بعض الفاكهة. فالصغيرة هي من يطلبون منها أن تحضر الأشياء وتفتح الباب أو تشتري بعض الأشياء الخفيفة علي عكس الكبيرة التي تجلس في الاجتماعات العائلية أو مع امها عند زيارة السيدات للمنزل. مع ذلك نونا لم تصدر أي تأفف من ذلك أمام الناس أو من خلفهم فهي تعرف أن ليس لجلوسها حديث مثل أختها لهذا يتم استعمالها .

طلبت السيدة من شدوي أن تحضر لها بعد يومان لتختار من محلها بعض الأقمشه لتبدأ في جهازها بعد محاولات مع أمها واقناعها أن هذا لا يوجد فيه مشقة لها ولا خسارة مادية. فلا تحب (جينا) أن تلقي بالحمل علي أحد حتي لو ستؤخر جواز ابنتيها الي حد ما. فلا تحب السلف لأنه يجلب التدخل من الناس في أمورهم الشخصية.

دخل والدهم بعدما سمعوا صوت تكة المفتاح. فمن عادته ألا يدق جرس

ولا يطرق باب، نظرت شدوي للساعة، فوجدت الساعه الثالثة عصرا، ما الذي أحضر أبيها مبكرا هكذا، أسرعت شدوي ناحية الباب كعادتها في استقباله لتحمل ما يعود به بينما استأذنت الضيفة عندما رأته.

لاحظت أن وجهه يعتليه العبوس والجمود، أخذته ليجلس علي المقعد المجاور للباب.

__ مالك ؟يا حامد.

__ مفيش.

__ شدوي روحي جيبي كوباية عصير.

__ مالك بس؟!

__ سرحوا عشر عمال النهاردة من الهيئة.

__ أنت منهم !

__ لأ، بس سمعت أن علي شهر كده وهيسرحوا قدهم من كبار السن، ما احنا بقي ملناش عوزة، وعندهم حق انا مبقتش ألف حوالين الركاب زي زمان وألاحظ ده وأركز مع اللي مدفعش.

__ ربنا يحلها، متتكلمش في حاجة لسه محصلتش يا أبو نونا.

__ يارب الستر.

(٤)

هبطت من الاسكوتر ووجها يكسوه الجمود، سارت ببطء الي أن وصلت إلي جموع الناس الملتفين أمام بيتها، اجتازتهم حتي وصلت لمصدر ذلك الصوت الجهوري.

__ تعالي يا بتول شوفي الحرامي ده كان بيكسر الشباك وعاوز يدخل عليا وأنا لوحدي.

__ نظرت بتول للرجل الواقف أمامها وقد تبين من وجهه أنه ليس كما يوصف ليس حرامي يظهر عليه ملامح الشقاء التي تعرفها جيدا ومن

ملابسه ربما عامل بأحد الشركات الملتزمه بالزي الرسمي.

ـــ في ايه أنا مش فاهمة حاجة؟

ـــ يا ست هانم أنا طلعت أوصل سلك التليفون للبيت ده، وأشار البيت المواجه لهم. بس الكابل الرئيسي هنا أشار الي الكابل المعلق علي حائط منزلهم كنت هقع من علي السلم مسكت في الحديد من حظي النحس انه طلع شباك بيتكم والست ديه ساعة.... ساعة كاملة مسكاني وتقول حرامي ده أنا لو حرامي كنت توبت

ـــ خلاص خلاص. وأشارت للحارس بأن يعيطه شي من المال فقد تعطل كثيرا وسيجازي علي ذلك وأهين كثيرا، ايضا فعندما رأي ظهور المال هدأ وتسامح

ـــ انتي هتسييه يمشي كده!

ـــ لا هنسجنه في خيالنا!

ـــ بتتريقي عليا بردة مش هتسكتي غير لما تموت مرة وتصدقي.

استوقفها ذلك الدخان المنبعث من باب البيت الداخلي الذي طغت كثافته علي الرؤية. أيقنت أنه صادر من المطبخ. اتجهت لتجد اناء اقترب علي التفحم وضعته في الحوض وسكبت فوقه الماء.

زفرت زفره طويلة وأغمضت عيناها تود التخلص من كل هذا التوتر اليومي والسيناريو المعتاد، ضياع وقت وجهد واستهلاك كلام، أوشكت باقة طاقتها علي النفاذ الذي لا يتجدد

(١)

صوت الغناء يعلو ويعلو معه صوت الطبل. ربما مصدره وجود احتفال بالخارج. خرجت رحمة من منزلها لتتفحص الأمر؛ فوجدته يسري ذاك الرجل الذي يخدع أهالي البنات الفقراء ليشتريهم ولا يري الحي هذه البنت سوي بضعة شهور ربما لا تتجاوز الأربع شهور وتأتي غيرها. يقيم الحفلات والعزائم وتكون تلك الصغيرة سعيدة بفستانها وأساور يدها الذهبية تعتقد أن حياتها كلها ستنير. سكان الحي لم يعرفوا الي أين تذهب البنات فيما بعد؛ فبعد فترة يلاحظ البعض استبدال السلعة ولا يهتم. فقط رحمة هي التي لم تنس سيدة كانت أم لإحداهن ظلت تتجول في الحي وتسأل حتي سقطت مغشيا عليها. أخذتها رحمة داخل البيت وعرفت سر قدومها فابنتها لم تراها منذ ثلاث شهور ولا تعرف عنها شيئا. يرسل يسري لوالدها أموالا شهرية وجواب من البنت. لكنها اشتاقت لها ولا أحد يدلها عليها حاولت أن تعرف منها اسم تلك البنت. لكنها لم تكن نفس البنت الذي كان متزوجها في ذلك الوقت. البنت ليست عند أهلها ولا عنده فماذا يفعل يسري في البنات اللائى يتزوجهن. لماذا الألغاز تترصد لرحمة وهي الوحيدة التي تلاحظها وتريد فكها. ربما لأنها الوحيدة المتفتحة في ذلك الحي المنغلق الذي لا يعرف سوي قوت يومه وانجاب الأطفال. ربما يضعها الله في كل مكان لتطهيره.

× × × × × × × ×

(٢)

استيقظت (تاليا) بعد أن أزاحت كلبتها روما الغطاء من عليها. لم تنتظر أمها حتي تحضر شنطتها رتبت كتبها وأدواتها وأطعمت روما وانتظرت

فقط تحضير الطعام لها، ارتدت ملابسها وجلست علي منضدة المطبخ وهي تشاهد أمها وهي تقلي البيض الذي تشتهيه صباحا، فطرت سريعا وقبلت روما لتذهب إلى ذلك الروتين اليومي لكن وهي آخذة قرار ما بداخلها، هذا اليوم مشيت تلك المشية السريعة مع امها كمجند في الجيش دخلت من الباب الحديدي الكبير ووضعت حقيبتها أمامها لتنتظر بدأ أناشيد الطابور، ثم جاءت زميلتها لتفعل كما تفعل كل يوم تخبطها بمسطرة أو تدهس قدمها لتقف مكانها لكنها سبقتها هذه المره ولحقت قدماها وضغطت عليها بقوة وكأنها تأخذ حق كل الضربات السابقة، حاولت الأخري أن ترد تلك الضربة، لكن لحسن حظ تاليا وقفت المدرسة في واجهة الطابور، ولأول مره تغني تاليا الأناشيد بصوتها العذب وبصوت عالي تشعر أنها بدأت الطريق الصحيح لتصبح قوية، لأول مره تنظر لجميع الطوابير بهذه الرؤية، لأول مرة تستطيع أن تكون هي من ينتظم الطابور كله علي وقفتها، لتقول المعلمة قفوا كلكم خلف (تاليا) من أجل التنظيم، انتهت الأناشيد وبالطبع تقدمت زملائها في الصعود للفصل وجلست في الصف الأول وهذه ثاني خطوة، خطوتان في يوم واحد حقا انها جولة رائعة لذات الست سنوات .

(٣)

كالعادة في الأجواء الباردة الشتوية عندما تكسو الشوارع رائحة الأمطار وتصبح لامعة كالمراه تجذب الاطفال للركض والقفز فوق برك المياه الصغيرة في الشوارع.

كانت تسير نونا وشدوي علي أحد الارصفة فهما في السن الذي لم ينضج والذي يعتقد أنه كبر في آن واحد؛ فينقطع عن تلك الأعمال الطفولية ولكنه يرغب فيها لكن يمثل التعقل والنضج.

وقفا علي أحد عربات الفول التي ظللت بالمظلة الخشبية لحماية الواقفين من الأمطار، أخرجت نونا من حقيبتها المدرسية ثمن الساندوتشات التي تكفيهم حتي العودة، بينما حاولت شدوي أن تمد يدها لتدفع للبائع

(٤)

الحياة عاوزه واحد أجمد من كده، تبنيلنا سور فوق سور هانهده بهمتنا، مش هنقدر هنموت هدناها من قاموسنا، مهما تتعب راح تقوم وأقوي من كده، اضعف وقاوم هتوصل بينا كلنا مش لوحدك، أنت مش لوحدك.

شكررررا

تلك كلمات الراب التي انهالت عليها التصفيق بعد الانتهاء، تلك صرخات البنات من طاقة الكلمات، تلك الكلمات البسيطة التي تحدث القلوب المريضة، نعم القلوب المريضة الصغيرة، أطفال مرضي القلب، فالحفلة وايرادتها كلها ذاهبة لمرضي القلب الصغار وتلك الكلمات تشجيعيه لهم ومناداة للشعور بهم، مناداة لتضع فرحتهم داخل فرحتك عند تبرعك، فتبرعك ليس مالا فقط؛ بل اهتمام أيضا، شعورهم بأن كل هذا الجموع من أجلهم، فالاحساس بالاهتمام أعمق من الحب.

لمعت عينا بتول عندما لفتت نظرها تلك اللافتات وفهمت منها أن تذاكر الحفل عائدة لمرضي القلب الصغار، فلو كانت تعرف ذلك لقامت بدعاية الحفل بنفسها لجلب المزيد، اشتد التصفيق ورفعت بتول أيديها عاليا، وكانت تقف في أول صف في ذلك المسرح المفتوح مما أتاح لتلاقي نظرهما معا، فأدارت وجهها حينما شعرت بيد تجذبها، فهي شذي تجذبها فقد تأخر الوقت وأصبح الجو باردا نوعا ما.

(١)

كانت (سامحة) جالسة تشغل نفسها بصنع ملابس التريكوه، كانت تشغل نفسها يوما بعد يوما في انتظار الصغير القادم الذي سيغير القلوب الذي ستري فيه فارس الصغير، كانت تود ولو تسميه فارس لكنها تذكرت وصية والده الذي دائما كان يناديه بأبو يوسف، وأيضا عنبر مرحبة بذلك الاسم.

انقطع تخيلها بالصغيرعندما جلست عنبر بجوارها وشغلت التليفزيون حتي بدون أن تصبح عليها

ـــ عاملة ايه النهاردة يا عنبر؟

ـــ كويسة الحمد لله.

ـــ جهزي نفسك عشان بكره هيجي نجار ويعمل شوية تصليحات في أوضة النوم بتاعتك، هيجددها يعني وكده.

ـــ يعني حبكت قبل ولادتي بشهر التوضيب ماكان من بدري!

ـــ والله الكلام ده بقي لجوزك، أنا عن نفسي دي هديتي ليكي.

ـــ آه هي من حضرتك، تشكري والله كلك واجب أنا هقوم أعمل شاي أعملك معايا؟

ـــ قولي كوبايه لبن!

ـــ لا لبن ايه، ده هيطلع صعيدي زي أبوه.

ـــ اللي يريحك يا بنتي ألف هنا.

(٢)

ـــصباح الخيريامدام، أنا ميس هالة مدرسة تاليا.

ـــصباح النور، كانت تحدثها باستغراب لا أحد يطلبها، حتي لو حدثت مشاجرة بينها وبين الطلاب كانوا ينتظرون حتي تأتي لتأخذها.

ـــ تاليا أغمي عليها من نص ساعه واضطرينا ننقلها العيادة التابعة للمدرسة.

ـــ تاليا! ليه حصل ايه؟!!

ـــ تقريبا هبوط حاد. حضرتك تقدري تيجي علي العنوان اللي هدهولك.

أسرعت حتي كادت أن تخرج بحذاء المنزل عادت وتناولت ما أمامها لتلبسه سريعا. أوقفت سيارة أجرة وذهبت لعنوان المستشفي الخاص بتأمين الطلاب. في بادئ الأمر لم تجد أحد في الاستقبال لتسأله. ظلت تهرول حتي تتمكن من قراءة كل المكتوب علي الغرف: لعله يدل علي وجود ابنتها هنا كجملة غرفة الاستقبال أو أي شئ. سارت لآخر الممر وهي تشاهد النساء ذوي الملابس البالية نوعا ما وبعضهم ينتظر أولادهم والبعض الآخر ينام أطفالهم علي أرجلهم وآخرين يجلسون على الارض ينتظرون خروج أولادهم من العمليات أو غرفة الافاقة. وكل من فيهم غير مهيا لأن يسأله أحد نصف سؤال في ذلك الوقت. شعرت بمن هم أقل منها ماديا في تلك الدقائق التي كانت تبحث فيها عن الغرفة المرجوة. لمحت ممرضه تسير بملابسها البيضاء مقبولة النظافه فسألتها عن طفلة جائت مع مدرسة لكنها تركتها وعادت.

ـــ ليلي تقريبا؟!

ـــ تاليا

ـــ ايوه ايوه تعالي معايا. صعدت بها سلم ففوجدت ابنتها علي المقعد الحديدي مثل الذي كان ينتظر عليه أهالي الأطفال بالأسفل.

ـــ ميني انتي جيتي!

ـــ طبعا يا حبيبتي أول ما ميس هالة كلمتني جيت. انتي مافطرتيش صح؟

ـــ أشارت بالنفي.

ـــ مدام. الدكتور عاوز حضرتك.

حملت ابنتها ودخلت للدكتور الذي كان ينتظرها خلف المكتب ونظر لابنتها، كان يريدها أن تدخل بدونها ليستطيع أن يسترسل في الحديث.

__ هي بنت حضرتك بتاكل سكريات كتير أو بتلاحظي انها مبتعلبش وعندها خمول؟

__ تقصد أن حصلها غيبوبة سكر، احنا عارفين إنها عندها السكر بس مابتخدش أدوية هي بتحافظ في الأكل، بس مش عارفة النهاردة ايه اللي حصل.

__ ممكن تكون زعلت شوية أو ظغط نفسي وعامة لازم تقيسي السكر باستمرار، هعلمك تقيسيه ازاي في البيت، كتب في ورقة الكشف اسم دواء بتلك الخطوط الغير مفهومة كأنها شفره بينه وبين الصيدلي، ده دوا تاخده مرة النهاردة بالليل ومرة بكره الصبح وتقيسي السكر .... مرة النهاردة بالليل يا مدام مش دلوقتي عشان هي لسه واخدة، قال تلك الجمله التأكيدية، فهو مر بتجارب مع أهالي كثيرون يتعاملون مع الدواء ومواعيده وكأنه فنجان من القهوة.

__ تمام، حاضر.

__ ألف سلامة علي الأميرة

(٣)

استيقظت نونا علي صوت مألوف بينما داعبت قدمها بعض الأكياس النايلون التي كانت موضوعة في آخر السرير. من رائحة الأكياس الهادئة علمت من بالخارج.

__ خالتو صفية .

الوحيدة التي تجري نحوها نونا وتفرح بقدومها هي الوحيدة التي تشعرها بالحب والمودة الحقيقة.

__ حبيبة خالتو اللي كبرت سنة بحالها من غير ما أشوفها.

ارتمت الأخري في حضنها وظلت جالسة بجانبها.

ـــ يعني انتي مابتفكريش ان ليكي أخت غير لما أجي واشوفك انا يا (جينا).

ـــ ما انتي عارفة البنات والمدارس وحامد كل شوية تعبان وكل حاجة بتتلخبط كده لما الواحد يحب يرتاح شوية.

ـــ مهو البعد عن الأهل ده اللي بيتعب يا (جينا)

كانت تشعر (جينا) بماذا ترمي أختها وبأي شئ بعد تحاول أن تتناساه وتندمج مع بناتها لتفتعل حياة جديدة مرحة.

ـــ أكملت حديثها، وأنا كمان بقيت أتعب قوي من بعد ما رانيا اتجوزت ساعات بزعل إنها اتجوزت بدري كده، بس اهو أحسن علي الأقل فرحت قبل ما أموت

ـــ بعد الشر عليكي يا خالتو.

بالرغم من ضحك نونا وفرحتها بقدومها كانت خالتها تشعر بما يحدث في نفسها من كسرة وشعور بعدم رغبة العرسان بها لهذا السن وبالرغم من سعادة أجواء المنزل للجميع إلا انها ثقيلة علي قلب نونا.

ـــ العيال دول لسه مخلصوش امتحانات؟

ـــ خلصنا والنتيجة طلعت كمان.

قالتها شدوي وهي تحمل صينية الشاي والبسكويت.

ـــ طب ما يلا علي مطروح بقي.

ـــ لا مطروح ايه ماهو يا الجوازة يا مطروح وضحكت(جينا) ضحكة هادئة من ضحكاتها الرقيقة.

ـــ خلاص نحضر الخطوبة وأخد نونا لحد معاد الفرح ولا هتستخسري فيا نونا كمان! ديه بكريتي.

ـــ ماشي .... بتقسميلي يعني البلد نصين خلاص أنا هخلي معايا العروسة وخدي نونا ..... مرضية؟

ـــ كانت تريد أن تأخذ نونا لتجعلها اصفي وأهدي وتعود بها علي ميعاد الفرح.

من الذي وضع تلك العادات أن الكبيرة هي من تتزوج أولا. تلك العادات التي يصر عليها الناس تخلق الفجوات. أصبحت البنات يرين ذلك أمر مسلم به. فيحزن عندما يحدث غير ذلك.

كانت(شدوي) تنظر لهم وهم يرتبون حياتهم علي ميعاد خطبتها وجوازها وتشعر أنها اصبحت مهمة ومتبوعة وليست تابعة.

(٤)

أدارت وجهها وعيناها لتضئ المصباح الجانبي الملاصق للسرير لتري من الذي يدق هاتفها في تلك الساعات الأولي من النهار. إنه يوم عطلة!

__ الو. نعم. نعم يا ست المهمة قوي انتي. قالتها بتول بسخرية نتيجة لايقاظها مبكرا

__ ايه يا بتول الاصطباحة ديه. حد يرد علي حد كده علي الصبح!

__ طب كويس أن أنتي عارفة أنه الصبح واصطباحة سكر عليكي وكده يعني.

__ عامة مش بتصل عشان اصحيكي.

__ مممممم

__ بتصل عشان أقولك عيد ميلاد (چويد) بكره وحازم عزمني وعزمك وكلنا بقي

__ استني استني أنا مجمعاكي بالعافية اصلا. چويد مين؟ وبدأت تعتدل لتصبح نصف جالسة في سريرها.

__ مغني الباند بتاع حفلة انبارح ماهو صاحب حازم.

__ اها انبارح وحفلة ومصحياني دلوقتي ليه يا هاكسي لما أنتي عارفة إننا راجعين من حفلة. اقفلي يا شذي بدل ما أطلع من التليفون آكل ودنك.

__ ضحكت شذي وأغلقت الهاتف.

أعادت بتول الهاتف لتظلم الغرفة وتغوص في سريرها مجددا.

×××××××

(١)

دخل فارس بخطواته المسموعة وقدميه الثقيلتين وألقي بنفسه علي المقعد المجاور لحجرة (سامحة) بعد أن ألقي زفرة ساخنة.

فتحت سامحة باب الغرفة بعد أن انتهت من صلاة الفجر.....

مالك يا ابن سامحة صوت نفسك من وانا قاعدة جوة.

المتخلف بيقولي البضاعة اتحجزت في المينا.

اه صحيح الشيخ الكبير ده سأل عليك وكان متعصب بردة.

عاوز أحاسبه علي تمنها بقالي شهرين بس والله ماعارف.

هي تمنها كام؟!

كفايه عليكي يا سامحة مصاريف اللي جوة ديه واللي هيجي.

في وقت حديثهم جائهم صوت صراخ عالي من الجانب الأخر من البيت؛ إنه صوت عنبر ربما تذكروا الضيف القادم أن عليه الاستسلام والمجئ. كانت ستذهب سامحة الي احدي الجارات المشهورة بالتوليد. لكن صاحت عنبر بأنها تريد أن تلد بالمستشفي ولا تريد السيدات الجاهلات التي ستحضر أحدهن. بالرغم من أن سامحة كانت غاضبة من لهجة كلامها. لكنها أقنعت فارس أن يحضر السيارة بالقرب من البيت وهي ستحضرها له.

بعد حوالي أربع ساعات بين صرخات عنبر وهدوء متقطع وقلق فارس الذي فضل أن يغادر المستشفي لتبقي سامحة بمفردها. سمعت لأول مرة صوت حفيدها. كان يكفيها صوته لا تريد أن تلمس أو تتحسس فقط صوته. بل حملته بين ذراعيها. لدرجة أنها تخشي عليه من يد أحد أبويه. صارت تحمله طيلة الطريق حتي في البيت كانت تريد ولو ترضعه هي لو أمكن. من يقول مثل أعز من الولد؟ هو لا يفهم أن ولد الولد هو من يعيد ذكري الولد لهم وشباب الجدة.